الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

دور بعض السلاطين والفقهاء والوجهاء الزيانيين في مواجهة ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط

Some of the Sultans and the Role of Scholars and Dignitaries Zayanyen in the Face of the Phenomenon of Poverty Morocco East

أ. خليلي بختة
استاذة باحثة في التاريخ الوسيط كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة معسكر-
khelili-histoire@hotmail.fr

ملخص

هذا الدراسة عبارة عن رؤية تاريخية ارتأينا من خلالها إبراز مسببات الفقر بالمغرب الأوسط من كذا حروب ومجاعات وأمراض وأوبئة وقسوة في جباية الضرائب، والتي كان لها الأثر المباشر في تفشي الفقر داخل المجتمع الزياني، كما سعينا إلى عرض الدور والجهد السلطوي تجاه الفئات الفقيرة و المحتاجة، وذلك بالنظر في أمورهم وانشغالاتهم والسعي لحلها والتخفيف منها، ثم دور الصلحاء والفقهاء ومحاولتهم لأجل الرفع من المستوى المعيشي لهذه الفئات الضعيفة، بالتقرب منهم وتوعيتهم ومشاركتهم محنهم وأزماتهم، فكلا من السلطة والعلماء والصلحاء شكلوا نسقا متكاملا في السعي لمواجهة الفقر، وتحسين المستوى المعيشي لأفراد المجتمع الزياني، وتبقى هذه المقالة مجرد محاولة أولى للنبش عن واقع الفقر و أثره على الفئات المنسية بالمغرب الأوسط، و نرجو أن تعقبها محاولات أخرى من طرف الباحثين حتى تكتمل جوانب الموضوع.

الكلمات الدالة: الفقر، السلاطين، الصلحاء، المغرب الاوسط، والكوارث.

Abstract

The article is just a historical vision of which we decided to highlight the causes of poverty in Morocco as well as the East of wars, famines and disease epidemics and cruelty in the collection of taxes, which had a direct impact on the incidence of poverty within the community Zayānī, also sought to show Role and effort authoritarian toward the poor and needy, and given in their affairs and their concerns and seek to resolve them and mitigate the endowment permanent or temporary them endowments, then the role of (aṣ-ṣulaḥā') and scholars and attempt to raise the standard of living for these vulnerable groups to order, approached them and make them aware of and participation ordeals and crises and to share what they have with them, Poverty and its impact on the forgotten groups in Morocco East, and please be followed by other attempts by researchers to complete aspects of the subject.

Keywords: *Poverty, Sultans, Morocco East, Disaster.*

مقدمة

لا ريب أن ظاهرة الفقر تعد من أبرز المعضلات التي تواجهها الإنسانية، كما أنها الآفة الخطيرة التي ظلت تفتك بالحشود من البشر، وتهدد الإنسان وتنذره بشر أكيد، ومازال أمرها يتفاقم وأرقام ضحاياها ترتفع حتى لتشكل الآن – بالنسبة للأمم والأقوام – القنبلة الموقوتة التي لا تبقى ولا تذر، فالفقر هو ظاهرة أزلية تتصل خيوطها ببني ادم على تعاقب الأزمنة واختلاف الأمكنة، ومجتمع المغرب الأوسط كغيره من المجتمعات عرف أزمات اقتصادية واجتماعية، انعكست على

أفراد مجتمعه بتفشي الفقر وتدني المستوى المعيشي الذي كان يتحسن نسبيا في أوقات الرخاء ويتدنى في فترات الأزمات[1]، ولأجل ذلك أخذ تحسين المستوى المعيشي ومواجهة هذه الظاهرة بحظ وافر من اهتمام سلاطين وعلماء بني زيان، ونظرا لكون المغرب الأوسط يزخر بإمكانيات جعلت منه إقليما فلاحيا، انتهج سلاطين الدولة الزيانية سياسة اقتصادية برزت ملامحها باستقامة أحوال الناس خلال بعض الفترات وهو الأمر الذي استقطب الفقراء والمحتاجين من داخلا الدولة وخارجها باعتبار أن المدن الأكثر نشاطا للتجارة والإنتاج أكثر جذبا للفقراء والبؤساء، لكثرة الصدقات والهبات وخاصة في مناسبات الأعياد الدينية، وهنا يصدق قول الشاعر:

يسقطُ الطّيرُ حيثُ ينتثر الحبُّ ❖❖ وتُغشى منازلُ الكرماءِ[2]

على محك هذه الملاحظات والإشارات المهمة للموضوع، نسعى من خلال هذا البحث إلى طرح بعض التساؤلات: كيف نفسر العوامل التي أدت إلى إقصاء شريحة الفقراء من دائرة اهتمام مؤرخي العصر الوسيط مقارنة بتوسيع كتاباتهم عن الطبقة الحاكمة؟ وما هي مسببات هذه الظاهرة؟ وما هي جهود ومساعي السلطة والفقهاء الزيانيين لمواجهة تلك الظاهرة ؟

1ـ الفقر والفقراء في كتابات مؤرخي المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

على الرغم من أهمية الموضوع الذي يؤرخ لفترة هامة من التاريخ الاجتماعي للفئات المنسية والمهمشة بالمغرب الأوسط، فإنه لم ينل حظه الكافي من البحث والاستقصاء في الدراسات التاريخية، باستثناء بعض الإشارات الخفيفة عنه أثناء الحديث عن تاريخ الدولة الزيانية بصفة عامة، كما أن المصادر التاريخية أقصت هذا الموضوع من دائرة اهتماماتها.

إن بعض المؤرخين القدامى بالرغم من قلتهم تنبهوا إلى هذا العيب وحاولوا تجاوزه، فمنذ القرن 8هـ/14م، تنبه (ابن خلدون) إلى ضرورة إحداث النقلة من تاريخ الفئة الحاكمة إلى تاريخ الشعوب، وانتقد بهذا الخصوص المؤرخين الذين أفاضوا في ذكر الأمير وصفاته فنعتهم بالتقليد والغفلة، بالرغم من انه هو الأخر لم يستطيع أن يفك نفسه من اسر التاريخ النخبوي الذي سار على هديه معظم المؤرخين [3] إلا انه حاول رفقة مؤرخين آخرين ك (المازوني) و (الونشريسي) الخروج عن دائرة الإقصاء حين أكدوا على معاناة هذه الفئات من جراء التغيرات السياسة والاقتصادية والاجتماعية مقدمين لنا وصفا لبعض العينات من المجتمع كقول (المازوني): "وأما باقي المال الذي بيده وليس بغير الحرام فالواجب أن يصرف جميعه إلى المساكين والفقراء، ويستحب أن يصرف في مساكين الجهة التي تعدوا فيها..." [4]، وبالمثل تكاد الإشارات تخلوا حول هذا الموضوع في كتب التراجم باستثناء ما ارتبط بسيرة وحياة بعض العلماء والصلحاء، في حين كتب التصوف استفردت بالحديث على هذه الظاهرة باعتبار أكثرية المتصوفة من الطبقة الفقيرة، ويمكن الاعتماد عليها من حيث التنظير للموضوع .

أما عن تفسير ظاهرة تهميش شريحة الفقراء في الكتابة التاريخية فربما يعزى ذلك إلى عجز مؤرخي العصر الوسيط عن الرؤية الواقعية لمسار حركة التاريخ واعتباره مجرد تراكمات كمية للأحداث والأشخاص والأسر، وهذا ما يفسر إقصاء هذا القطاع الاجتماعي العريض الذي يشكله الفقراء وعامة الناس من الكتابة التاريخية باستثناء تلميحات وإشارات باهتة وردت على رؤوس أقلام مؤرخين[5] .

كما يرجع تهميش هذه الشريحة في الكتابة التاريخية ربما أيضا إلى كون المؤرخ الإسلامي في العصر الوسيط ظل أسيراً لبلاط الدولة الرسمية التي تحتضنه، وبالتالي فان كتاباته عكست سياسة الحاكم و أي خروج عن ذلك يعتبر عصياناً يوجب خمده.

يضاف إلى هذه التفسيرات السابقة هيمنة فكرة البطل التاريخي على عقلية المؤرخ في العصر الوسيط فقد تبنى المؤرخ التفسير الفر داني لوقائع التاريخ اعتقادا منه أن الفرد هو صانع التاريخ لذلك ظلت كتاباته عبارة عن تمجيد، ومدح للخلفاء والملوك متناسين الفئات الاجتماعية الفقيرة [6].

2ـ أسباب تفشي ظاهرة الفقر بالمغرب الأوسط

إن الفقر وكأي ظاهرة تاريخية لا يمكن دراستها، إلا بحصرها في مجال زمني محدد لكي يتسنى لنا تتبع حيثياته، فلا شك أن المغرب الأوسط عرف خلال الفترة الزيانية تغيرات وأحداث سياسية كان لها الأثر المباشر على بنية مجتمع المغرب الأوسط وأوضاعه، كالحروب والفتن بين الكيانات السياسية الثلاث، الزيانيين والخطر الحفصي من الشرق، الزيانيين والخطر المر يني من الغرب، وكذا الفتن والثورات الداخلية من طرف القبائل المعارضة للسلطة[7].

ا- الحروب و الحصارات

تسببت الحروب في إلحاق الضرر بالكائنة والساكنة في أي وقت ومكان، كما تميزت بخصائص: كطول أمدها وتعدد مناطق الصراع وأكثر من ذلك تشابهها مع الكوارث الطبيعية المنشأ من حيث الضرر والخراب الذي ينجر عنها كالفقر والمجاعات والأمراض والأوبئة، ناهيك عن القتل الذي يطال الناس[8]على حد تعبير (ابن خلدون) (وأبي حمو) و(أبي تاشفين) من قبله قياسا متورطا في الغلط بعيدا من الإصابة لما نزل بسلطان بني عبد الواد من الضعف والوهن وما أصاب قومهم من الهلاك والشتات بأيديهم وأيدي عدوهم "[9].

لعل أهم الحروب التي كان لها الأثر العميق والتحول البارز، ما عرفته الدولة الزيانية مع جارتها من بني مرين سنة (688هـ/689هـ)/ (1289م/1290م) ، فقد تعرضت تلمسان إلى خراب المداشر والقرى إضافة إلى سبي النساء والحريم[10]، ثم في سنة (698هـ/1298م) والتي شكلت اخطر الحملات وأشرسها على تلمسان، على حد قول (ابن الأحمر) "لأواصلنه عليهم حتى اقتلهم جوعا" [11]، فقد قامت الجموع المرينية بمحاصرة تلمسان لمدة أكثر من ثمان سنوات وانجر عن هذا الحصار

كثرة الموتان والجوع والفقر وغلاء الأسعار[12].

أدت الحروب و الحصارات إلى تراجع النشاط الزراعي والرعوي في البوادي، لان الفلاحون مهددون بالجوع والإفلاس في أي لحظة يمر الجيش بها ويتلف محصولهم، عندئذ يصابون بالفقر ويجدون أنفسهم عاجزين عن دفع ما عليهم من كراء وضرائب، على حد قول (ابن خلدون): "قبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في أخر الدولة من العدوان في الأموال و الجبايات أو الفتن الواقعة بين انتقاص الرعايا... فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلى الزرع وعجز عنه أولوا الخصاصة فهلكوا"[13]، وهو الأمر الذي أدى إلى لجوء الكثير من أفراد المجتمع المغربي إلى الاستلاف والدين، وفي هذا الصدد وردت نازلة على الفقيه المازري تتحدث عما» اضطر الناس إليه في هذا الزمان والضرورات تبيح المحظورات من معاملة البدويين الفقراء المحتاجين في سني الجدب وذلك أنهم محتاجون إلى الأقوات من الطعام ويشترونه بالدين إلى الحصاد "وهذا يؤكد أن المجاعات التي كانت تزيد من تفاقم فقر المزارعين كانت تضطرهم إلى شراء الأقوات الضرورية بواسطة الدين إلى أن يحين موسم الحصاد فيؤدون ديونهم "[14].

بـ عوامل طبيعية

كان للعوامل الطبيعية دورا كبير في افتقار الناس إلى الضروريات من الحياة كالغذاء والماء أيام حدوث الجوائح كالجفاف، والقحط والجراد وهذا ما يؤكده (العبدري) في قوله: "ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلد حلت به زمانة الزمان، وأخلت به حوادث الحدثان، فلم تبقى به علالة ولا تبصر في أرجائه للضمئان بلالة" [15]، و أكد ذلك أيضا (ابن خلدون) في قوله: "وكان أصاب الناس أعوام اثنين وتسعين وستمائة وما بعدها قحط"[16]، إذن فلطالما هدد معاش وكسب الإنسان من قبل هذه الجوائح وغيرها وبالتالي تهديد أمنه الغذائي.

كان الفقراء والمحتاجين هم الأكثر عرضة للأمراض والأوبئة بسبب مجاورتهم الجنائز وضيق المساكن، وانعدام الوعي الصحي وشروط النظافة وسوء التغذية ومن الأمراض التي انتشرت خلال هذه الفترة مرض الذبحة [17]والسعال الديكي[18]، الذي يسببه الجلوس على الأرض دون فراش في فصل الشتاء وكذلك أمراض البرد[19]، إضافة إلى مرض النسا والركب" بسبب الجلوس على الأرض وهم لا يلبسون أي نوع من السراويل "[20].

جـ جباية الضرائب

كان لعامل جباية الضرائب سبب آخر في إفقار الناس إذ يصف لنا (الوزان) حالة الفقر التي يعيشها سكان المسيلة بسبب إرهاقهم بالضرائب فيقول "والسكان كلهم صناع أو فلاحون يرتدون لباسا رديئا لفقرهم، بسبب الأعراب الذين يسلبون مداخليهم، وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب، وقد اندهشت للفقر السائد بالمسيلة عند مروري بها "[21] فالوزان يعطينا صورة حية عن شدة الفقر لسكان المغرب الأوسط عامة والمغرب الإسلامي خاصة نتيجة الضرائب المفروضة عليهم.

كما لا ننسى أن الجيش كان يأخذ الجباية من السكان قسرا مما يتسبب في إفقار الرعية وإضعافهم، ذلك ما فعله السلطان (الحفصي أبو زكريا) عندما احتل تلمسان عام (640هـ/1242م) ، فاستوفى من أهلها الجباية[22].

إذن كل هذه المتغيرات كان لها الأثر البارز في الواقع السيئ على المستوى المعيشي للسكان، وتفتيت عضد مجتمعه، باستفحال الفقر داخل المجتمع الزياني بمختلف صوره ، الأمر الذي يجعلنا نطرح الإشكال التالي : ما هي جهود وطبيعة الاجراءات الميدانية التي اتخذها سلاطين وفقهاء ووجهاء بني زيان في محاولة لتحسين المستوى المعيشي لأفراد المجتمع الزياني، ومدى اهتمامهم بالفقراء في المجتمع؟ وماهي السبل التي اتبعوها لتحقيق الرخاء الاقتصادي لأفراد مجتمعهم لقصد مواجهة الفقر و ماهو دورهم أيام المحن والشدائد؟

3ـ دور وطبيعة جهود بعض السلاطين الزيانيين لمواجهة ظاهرة الفقر

ا ـ سعيهم لتحسين المستوى المعيشي وبث الأمن والاستقرار داخل المجتمع الزياني

أولى سلاطين الدولة الزيانية والتي تعاقب على حكمها – الوراثي – واحد وعشرون سلطانا[23] اهتماما ورعاية كبيرة لاقتصاد الدولة الزيانية، هادفين تحسين المستوى المعيشي وتحقيق الرخاء والأمن الغذائي وكذا الحد من تفشي ظاهرة الفقر داخل المجتمع الزياني بمختلف شرائحه، وتجلى حرص بعض السلاطين على تقوية البنية الاقتصادية من خلال ما أقاموه من هياكل دعمت اقتصاد المغرب الأوسط وزادت من قوته .

وكما هو معروف فان المستوى المعيشي لأي مجتمع يرتكز على الوضعية الاقتصادية السائدة، فيتحسن أوقات الرخاء، ويتدنى في فترات الأزمات [24]، والمؤشر الأساسي الذي يتحكم في ذلك المستوى هو قيمة الدخل والخرج[25]، أو كما قال (ابن خلدون): "ومتى عظم الدخل، عظم الخرج وبالعكس، ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[26].

ويبدو أن تلمسان عرفت خلال العهد الزياني رواجا اقتصاديا كبيرا ساد معظم نواحيها، بالرغم مما شهدته هذه المرحلة من ضغوطات وأوضاع أمنية متردية أحيانا، تكررت فيها تدخلات (بني حفص) وحملات (بني مرين) وتمرد القبائل المجاورة ضدهم، إلا أن هذا لم يمنع من ازدهار الحياة الاقتصادية في بعض الفترات وذلك بتوفر مجموعة من العوامل والمقومات نذكر منها:

– الدور الذي قام به ملوك بني زيان لأجل تحقيق الأمن والاستقرار، ففي عهد السلطان (يغمراسن)

(633هـ/681م/1235هـ/1282م)[27]الذي عمل على تشجيع وتطوير الشق الاقتصادي والحرص على تحقيق الأمن بعموم البلاد، وذلك بمحاربة عناصر الفوضى والفساد[28]، وإرغام خصومه من الأعراب المجاورة له على الطاعة والخضوع، باقتطاع لهم أراضي واسعة داخل تلمسان بغرض الحماية والمحافظة على أمن واستقرار تلمسان من هجمات المرينين و الحفصين[29].

أما في الجانب الفلاحي الذي كان يعتبر العمود الفقري لاقتصاد الدولة، فقد شهد هذا النشاط تنظيما محكما خلال هذه الفترة إذ طبع بمميزات منها:

اعتماد هذا النشاط على نظام الشراكة القائمة بين الخماس ورب الأرض مما أعطى ذلك دفعا قويا لاستقطاب أعداد معتبرة من اليد العاملة المحتاجة والفقيرة [30]، وحرص السلطان) يغمراسن(على حسن مراعاة الزراع في الأراضي الواقعة تحت نفوذه[31]، وكان للتنوع الزراعي اثر واضح في تفعيل عنصر أخر من عناصر الحياة الاقتصادية خلال هذه الفترة ألا وهو التجارة ، فقد تعدى نشاط تجار المغرب الأوسط الإطار المحلي إلى العالم الخارجي، وذلك بفضل دور يغمراسن في تخفيف الجبايات عليهم . وكان قسط كبير من تلك الجبايات على شكل غلاة ومواد مختلفة تجمع تلك الغلاة في مخازن الدولة لتمويل الجيش أو توزيعها على الأهالي أيام المجاعات[32].

كان (يغمراسن) أول من فرض العطاء وحدد الراتب للموظفين في تلمسان[33] ، وشجع على شق القنوات المائية وبناء الخزانات مثل الصهريج الكبير، وأمر بشراء الإنتاج من المزارعين لتخزينه في مطامير لوقت الحاجة [34] ، فكان الإنتاج الذي يزيد عن الحاجة يخزن لأوقات الحصار والحروب مثلما حصل ذلك مع السلطان أبي زيان الأول سنة 706هـ/1307م إذ استدعى خازن الزرع وسأله كم بقي من الاهراء و المطامير المختومة [35]، وذلك حرصا وتجنبا للوقوع تحت طائلة الجوع.

كما تميزت فترة حكم السلطان (أبي حمو موسى الأول) (708هـ/1308م، 718هـ/1318م) بتدعيم وتوسيع انجازات سلفه على حد تعبير (ابن خلدون) في الإشادة به في قوله: "لقد ارجع الماضي وأزال آلام شعبه، حارب المتمردين، لقد كان ينهى عن الظلم ويأمر بالمعروف" والذي أصبح يلقب بباعث ومؤسس الدولة الزيانية [36] ، هذا السلطان الذي اعتنى بجانب الزراعة كثيرا، فمثلا كان يحصل على عشر الإنتاج في المناطق الشرقية ويرسله إلى احد الحصون القريبة من تلمسان لوضعه في مطامير وتخزينه لوقت الحروب والحصارات والمجاعات حتى وصفه ابن خلدون في قوله " وبحرا لا يدرك ساحله" [37] ومما يشهد له من انجازاته تأسيسه سوق القيصرية[38] على مساحة كبيرة بوسط مدينة تلمسان لتكون السوق الرئيسية بالمدينة [39]، حيث كانت الحركة الاقتصادية بها نشيطة ومتطورة بفضل المخازن التي أقيمت بها [40].

وبالمثل عرفت فترة حكم السلطان الطموح (أبو تاشفين الأول) ابن (أبو حمو موسى الأول) خامس ملوك الأسرة الزيانية، ازدهارا كبيرا حيث قال عنه (ابن خلدون): "كان يعرف كيف يحمل عبئ الحكم والدفاع عن الإمبراطورية"وهو الذي أمر بتحصين المدينة بالأسوار والآلات وبنى البناءات العجيبة الشكل كبناءه المدرسة التاشفنية[40] المعروفة باسمه. وكذا القباب الغربية والقصور المنيعة وغرس فيها البساتين من جميع الثمار.

كما شجع قطاع التجارة وحرية التبادل التجاري بين التجار سواء من الداخل أو الخارج ، فكانت التجارة إن صح القول عصب ومصدر ثروة تلمسان الأساسي "فكانت متاجرها فريدة الانتفاع" [41]، الأمر الذي أدى إلى ظهور الثروة على المستوى الرسمي والشعبي، فقد مكنت التجارة السلطان (أبو تاشفين) من أن يعرض قرضا على جاك الثاني ملك (اراغون) من خلال رسالة قال فيها "وان كنتم في حاجة أن نقرضكم الذهب سنفعل "[42]، أما على المستوى الشعبي فقد ظهرت عائلات ذات ثراء كبير كعائلة (المقري) و(العقباني) و(المرازقة) [43].

ويمكن اعتبار سنوات (707-1307م/738-1337م) فترة هامة في تاريخ الدولة الزيانية نظرا للاستقرار التام الذي عرفته[44] مما مكنها من ابرام معاهدات اقتصادية مع دول مختلفة، الأمر الذي اكسبها الثراء وغدت الخزينة تزخر بالأموال، وعاد بعميم النفع على الرعية، بالإضافة إلى ذلك يمكن القول بان التزايد السكاني خير دليل على ذلك الرخاء الذي كانت تعيشه البلاد أثناء فترات الاستقرار فمثلا خلال فترة (أبي تاشفين الأول) بلغ الدور فيها ستة عشر ألف دار مسكونة، إذ وصل عدد السكان في المدينة ما يزيد عن مئة ألف شخص على اعتبار أن معدل الآسرة الواحدة سبعة أفراد[45].

ويبدو أن السلطان (أبو حمو موسى الثاني) (760-791هـ/1359-1389م) [46] لم يتوان في السعي لتحقيق الرخاء والازدهار الاقتصادي والاجتماعي للأفراد مجتمعه بل شرع في تنظيم شؤون دولته بما توفر لديه من الوسائل رغم انه لم يكن ما وجده في بيت المال كافيا وذلك بسبب الغزو المريني الذي تعرضت له تلمسان مرة أخرى في عهد (أبي عنان) (752-760هـ/1351-1358م). فحرص على إعادة ازدهار ومجد الدولة الزيانية رغم تقلب الأوضاع في العديد من المرات، فعمل على كسب تأييد العديد من القبائل مثل قبيلة (المعقل) و(وجدة) و(ندرومة) و(البطحاء)، واسترجاع بعض المدن كوهران والمدية ومليانة[47]، فقد بلغت حركة توسعاته الشرقية والغربية منحى تصاعدي، الأمر الذي انعكس إيجابا ببلوغ دولته قمة الازدهار الاقتصادي مما أدى إلى استقامة أحوال رعيته في مختلف النواحي الاجتماعية. ومما طبع فترته هو تأسيسه لمنطقة صناعية خاصة، تجمعت فيها مختلف الصناعات داخل المدينة، فعرفت هذه المنطقة باسم دار الصنعة على حد قول صاحب البغية: " إن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم ، فمن دارق ورماح ودراع ولجام و وشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ ودباغ وغير ذلك ... ثم تعرض كل يوم مصنوعاتهم

بين يدي الخليفة أيده الله " وكان لهذا الانجاز اثر ايجابي كبير على أفراد المجتمع الزياني بحيث كانوا ينصفون مالا من السلطان عند تقديم عروضهم عليه في قوله "وتزن كل بحجار، صنعه المعد له، وينصف العاملون من أرزاقهم عدلا أبدا" [48]. وكان تنوع الصناعات ورواجها لخير دليل على التطور الذي شهده الشق الصناعي فكان منها صناعة النسيج، وصناعة الورق، والصناعات الجلدية، والدباغة، والصناعة الخشبية وصناعة الزيوت والصابون والعطور.

كما حرص على تحسين أوضاع العامة من الناس المستضعفين والفقراء المحتاجين، وذلك ما نلمسه بوضوح في الوصايا التي صاغها السلطان في كتابه المشهور" واسطة السلوك في سياسة الملوك على حد قوله: " إن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وأزل، فترفق بهم في المخازن و المجابي، وتحسن لضعفائهم المحتاجين، وتحابي وتؤثرهم مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء من فوائدهم، فتعمر أسواقهم بما اختزنته من الطعام مما يقام به أود الناس في ذلك العام فإذا كنت يا بني عاملا على هذا الأسلوب جلبت محبتك كل القلوب ودعت لك الرعية ببقاء الدولة والتمهيد والنصر والتأييد وفي ذلك الصلاح التام لدولتك والخير العام لرعيتك "[49].

وللتدليل على المستوى المعيشي الجيد خلال فترة السلطان (أبو حمو) لابد من الإشارة إلى فخامة تلك الاحتفالات العسكرية والمدنية التي كانت تقام في العديد من المرات كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف حسب صاحب البغية " كان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى - صلى الله عليه وسلم – ويحتفل لها بما هو فوق سائر المراسيم، يقيم مدعاة ، يحشد لها الأشراف والسوقة "[50]، وهو أمر يعكس المستوى المعيشي لسكان تلمسان خلال هذه الفترة من خلال مشاركة الرعية بمختلف الطبقات منها العامة والخاصة تلك الاحتفالات فكانت تقدم خلالها الأموال على الفقراء والمساكين ورد المظالم وإكرام العلماء و الصلحاء [51].

أما فترة السلطان الزياني (أبو تاشفين الثاني) الذي عمل بوصية أبيه (أبو حمو موسى)، فقد بلغت هي الأخرى ازدهارا وتنظيما في أنشطتها الاقتصادية، إذ مثلت الجباية مصدرا من مصادر الدخل لدى الدولة الزيانية خلال فترته وفترة ما قبله و هذا ما يتضح من خلال قول ابن خلدون يحي حينما يروي لنا خبر رفع (أبا تاشفين) لمبتدع الوظائف عن الناس [52]، وفي موضع أخر يؤكد قوله: " وتضاعفت قواهم بما استحوذوا عليه من جبايات الامصار والقبائل" [53].

حرص معظم ملوك الدولة الزيانية على توفير السلع التجارية على مدار السنة عن طريق تسهيل عملية التبادل بين التجار من مختلف الجنسيات كما جاء في قول احد المؤرخين "يحرصون أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه"[54]، وكان الهدف من ذلك توخي الحذر لأي طارئ خارجي يهددهم، وتجلى ذلك في شهادة (الوزان) حين "رأى بنفسه سفينة جنوية تحمل بضائع وسلع لتلمسان تكفي المدينة لخمس سنوات "[55].

تقيد ملوك بني زيان خاصة خلال فترة الرخاء إلى درجة كبيرة بالمصادر الشرعية لجمع الضرائب، ولم يكلفوا الناس ضرائب غيرها، على عكس عصر التراجع والانحلال والتي ظهرت خلاله ضرائب أسهمت هي الأخرى في إفقار العامة بفرض مغارم ومكوس جديدة خاصة تلك المفروضة على التجارة الداخلية.

ب- دور ملوك الدولة الزيانية في أوقات المحن والشدائد

ويظهر جليا انه خلال فترة الخلفاء الأقوياء ومرحلة الاستقرار، برزت مظاهر تحسن المستوى المعيشي بشكل جلي، وذلك من خلال استقرار الأسعار والتمكن من ضبطها ومنع ارتفاعها داخل الأسواق، ومحاربة ما ينجر عن ذلك من إخلال بالحركة التجارية والمعاملات بين الناس والتجار، خدمة للقدرة الشرائية لجميع الفئات . إلا انه رغم كل هذه المعطيات والمؤشرات الايجابية لاقتصاد الدولة الزيانية لم يمنع من تفشي ظاهرة الفقر داخل المجتمع وخاصة أثناء فترات الضعف التي انعكست أحوالها على أفراد المجتمع بالفقر وتدني المستوى المعيشي لهم مما انجر عنه الكثير من المآسي .

لا يمكن معرفة تأثير المحن والشدائد الطبيعية والغير الطبيعية على إنسان المغرب الوسيطي، إلا من خلال مستوى المعيشة كما سبق وان اشرنا إلى ذلك، وليس أدل على ذلك من القدرة الشرائية لدى العامة، والتي كثيرا ما تأثرت أثناء ظهور أزمات اقتصادية وجوائح طبيعية كالمجاعات والأوبئة وما شابه ذلك من آفات بيئية، فكان لهذه الأزمات أن أفرزت سلوكاً اجتماعياً بين أفراد المجتمع الزياني عبر بوضوح عن مدى الترابط الاجتماعي والتكافل فيما بينهم، فكانت عملية تضامن بعض السلاطين الزيانيين زمن هذه المحن من ابرز السمات التي ميزتهم بتقديم مساعدات للفقراء والضعفاء والوقوف إلى جانبهم ، وعليه يمكن طرح التساؤل الأتي: فيما تمثلت المساعدات الإنسانية والإجراءات الميدانية التي اتخذها السلاطين الزيانيين لتجسيد اهتمامهم بهذه الشرائح من المجتمع ؟

يسجل في هذا الإطار اتخاذ السلطة لعديد الإجراءات، قصد التخفيف من حدة تلك الأزمات والمحن، خاصة إذا ما تعلق الأمر منها بنقص المحاصيل الزراعية، فكان اتخاذ المطامير[56] لتخزين المواد الغذائية كخطوة أولى لمحاربة ظاهرة الجوع فعند زيادة الإنتاج يتم شراؤه من المزارعين لخزنه فيها لأوقات الحرب والحصار وتلك السلع المخزنة كان لها فائدة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي كبيرا [57]، خاصة عند اشتداد الأزمات كطول الحصارات أوحدوث جوائح طبيعية داخل مدن وقرى المغرب الأوسط .

نوهت المصادر إلى بعض جهود ومساعي السلاطين الزيانيين أيام المجاعات مثلما فعل السلطان (أبو حمو موسى الأول) على حسب ما ذكره (العمري) في قوله: "لم يدع ما يحتاج إليه

المحاصر لعدة سنين كثيرة حتى حصله من الأقوات والآلات حتى سليت الشحوم، وتمليت بها الصهاريج وملئت أبراج المدينة بالملح والفحم والحطب، واختزن أرضا داخل المدينة كلها زرع "و الدور نفسه قام به ابنه السلطان أبو تاشفين حسب قول (العمري): " فزادها تحصيلا من الأقوات، وتحصينا من الأسوار والآلات" [58].

ومن جهة أخرى برز دور السلطان (أبي حمو موسى الثاني) من خلال ما قام به من جهود لصالح الطبقات الضعيفة والمحتاجة خاصة في أوقات المجاعات مثل مجاعة عام (767هـ/1365هـ) وهذا ما أورده (يحي ابن خلدون) بقوله: " واشتملت هذه السنة أي (767هـ) أجمل الله ختمها على مجاعة شديدة أكل فيها بعض الناس بعضا لريح ذات إعصار أهلكت زرع صائفتها وحيوانها فافتقر الناس إلى ما عند الخليفة بنصف جباية حضرته الكريمة كل يوم على ضعفائها تجمع آلافه العديدة لأخر سبع ثم يحشرون بمشوار أيمي أن لهجي[59]، وغيره من الرحاب الفسيحة ، فيقسم ذلك حفظته عدلا بينهم ... ثم اقتضى نظره الكريم أن ضمنهم أجمعين بمارستانات[60] يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشيا ..."[61]، فلقد اعتبرت محاولة السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني بمثابة الخطوة المهمة لإيواء والتكفل بالمحتاجين، ناهيك عن إخراج وفتح مخازن الزرع لبيع بأقل ثمنا تيسيرا للمحتاجين المنهكين من جراء الغلاء الفاحش عقب حدوث المجاعات[62].

كما نلمس وصيته لابنه (أبو تاشفين) بالادخار كوسيلة كفيلة لمواجهة المجاعات والأوبئة وخطر الحصارات لحماية أفراد مجتمعه من الأزمات الاقتصادية وما ينجم عنها من مخاطر في قوله « ينبغي ألا تفارق ذخيرة من الذخائر، مما غلا ثمنها وخف حملها، كالياقيت و الجواهير الثمينة التي لها نفاسة وخطرا وقيمة بها أعداءك وتصلح بها أراءاك ، فان اقتناء الذخائر عونة على الشدائد والضرائر [63].

ويبدو أن الحديث عن غلاء الأسعار أثناء المجاعات يقودنا إلى الحديث عن ظاهرة التسعير، فبالرغم من غلاء أسعار مختلف المواد الغذائية أثناء المجاعات الواقعة بالمغرب الأوسط، إلا أن المصادر لم تشر إلى لجوء السلاطين إلى عملية التسعير على اعتبار أن التسعير منهي عنه شرعا[64]، لأنه يعد مظلمة في حق التجار والباعة في الأسواق لاسيما في أوقات الشدائد، وهناك إشارة يبرزها صاحب البغية عن دور السلطة الفعال أيام المجاعات دون اللجوء إلى عملية التسعير في قوله"عن المبادرة التي قام بها (أبو تاشفين) أيام مجاعة (776 هـ/1374م)للتخفيف من حدة الغلاء المسلط على الرعية " وإباحة بيعه (الزرع) بعد الحط من سعره الذي اقتضته المجاعة رفقا بالناس وحفظا لنظام حياتهم"[65].

وكان كثيرا ما ينفذ الطعام ويتوجه الأهالي إلى السلاطين شاكين حال أمرهم مثلما حدث أيام حكم السلطان (أبو زيان) حسبما ورد ذلك عند (الوزان): " فلم يطق السكان تحمل هذه المجاعة واشتكوا إلى الملك، فأجابهم بأنه قابل أن يطعمهم لحمه لو كان يكفي لإعالتهم جميعا ، إذ يعدهم بخسا بالنسبة لولائهم"[66].

ويظهر جليا انه لولا السياسة المنتهجة من طرف العديد من سلاطين بني زيان لما تمكنوا من اجتياز معظم الأزمات التي قلت فيها الأقوات وكادت أن تقضي على الحياة في اكبر حواضرها، من خلال الاعتداءات المتكررة على المدن التابعة لها من طرف الجارتين الحفصية و المرينية.

ويجدر بنا التنويه كذلك إلى الدور الإنساني وكذا الأعمال الخيرية التي دأب عليها السلطان المريني (يعقوب بن عبد الحق) خلال فترة حكمه لتلمسان لصالح الطبقات المحرومة، وهذا النص فيه ما يدل على ذلك حسب شهادة (ابن مرزوق): " ومن سننه وهي انه أجرى لسائر الأيتام من سائر القبائل ما يتماشى به أحوالهم، ويستغنون به عن التكفف والعالة ...الحق بمن عاده ، فلا يكاد يقع بصرك على يتيم في بلاد المغرب إلا وهو مكفول"[67]، وزاد اهتمامهم بالفقراء خاصة أيام المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف ويوم عاشوراء على حد قول ابن مرزوق " ومن صدقاته الجارية وحسناته المستمرة التي سنها هو أن في كل عاشوراء من سائر بلاده يجمع الأيتام الذين يفتقرون إلى الختان كل واحد، ويكسوه قميصا وإحراما، ويعطي عشرة دراهم وما يكتفي به من اللحم، فيجتمع في كل عاشوراء من الأيتام من سائر البلاد ما لا يحصى وهو عمل مستمر"[68].

وعلى ذكر بعض المواقف المشرفة له تجاه الفئات الفقيرة والمحتاجة منها: أمره ببناء مارستان مهمته التكفل بمداواة المعتوهين والمجانين والغرباء والمرضى والإنفاق عليهم فقد ذكر صاحب الذخيرة السنية "وهو الذي صنع المارستنات في بلاد المغرب للمرضى وللغرباء والمجانين ، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية ، وما يشتهون من الفواكه والطرف ، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم ومداواتهم، وما يصلح أحوالهم"[69].

ويبدوا انه أولى اهتماما ورعاية خاصة للأيتام والمحتاجين للملبس والطعام على ذكر ذلك في قول ابن مرزوق"وأمر بتطهير الأيتام وكسوتهم والإحسان إليهم بالدراهم والطعام في كل عاشوراء...، وأوقف الأوقاف الكثيرة لإطعام عابر السبيل وذوي الحاجات...."[70]، واعتبرت البيرماستنات الملاجئ الخيرية التي يأوي إليها الفقراء والمساكين، بعد أن تجمعهم الدولة هناك لكي يسهل عليها توزيع الصدقات عليهم والاهتمام بهم على أكمل وجه .

جـ- تقديم خدماتهم للفقراء

حرص السلطان أبو حمو موسى الثاني على مد يد العون لهذه الفئات الضعيفة في المجتمع وعمل على تقديم الجرايات لهم في مختلف المناسبات والاستماع لانشغالاتهم مرة في كل أسبوع [71]، كما ذكر صاحب كتاب البستان أن السلطان محمد ابن أبي تاشفين قد زار الشيخ أبا الحسن أبركان وترك

عنده دراهم كثيرة، ليفرقهاعلى الفقراء والمساكين[72]. وبالمثل فعل السلطان أبا الحسن المريني أثناء حكمه لتلمسان بإعطاء الضعفاء اثنا عشر ألف دينار واثنا عشر ألف كساء، ومن الطعام مطامير لا تتحصى كثرة [73].

أما فيما يخص دورهم في مجال الصحة فقد نوه (يحي ابن خلدون) إلى وجود بيرمستانات في عهد السلطان (أبي تاشفين) حسب قوله:"ثم اقتضى نظره الكريم أن ضمهم أجمعين في بيرمستنات يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشية شتاء السنة"[74] وهي إشارة مهمة عن اهتمام السلطان أبو تاشفين بالجانب الصحي لرعيته لا سيما الفئات العامة من المجتمع.

كما عملوا على محاربة ظاهرة احتكار السلع بوضع محتسب يراقب عمليات البيع والشراء في الأسواق، إذ يذكر (الونشريسي) لجوء بعض التجار الجشعين إلى احتكار الطعام في السوق مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وإضرار الناس ، كان المحتسب يأمر ببيع الطعام لهم ويكون للمحتكر رأس ماله، أما الربح فيصدق به على ذوي الحاجة أدبا له، وإذا أعاد التاجر انتهاج هذه السياسة مرة أخرى يضرب و يطاف به في الأسواق ويسجن عقوبة له [75].

فالجدير بالذكر أن الرعاية الاجتماعية بالفقراء والمساكين كانت من أولويات أهل وساسة المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إلا أن المصادر التاريخية اعترتها نوعا من الضبابية حول دورهم و مجهوداتهم تجاه هذه الفئات من المجتمع، على خلاف ما حظيت به أعمالهم وجهودهم في الجانب الفكري والثقافي والعسكري من قبل المؤرخين.

4- مساعي الفقهاء والوجهاء الزيانيين لأجل الرفع من المستوى المعيشي ومواجهة الفقر

أدت مخالطة فقهاء و صلحاء تلمسان لأفراد مجتمعهم ومعاملتهم، إلى اطلاعهم على أحوالهم ومعرفة مشاكلهم وحاجتهم وما يشغل بالهم فتباينت أدوارهم تجاه الفئات العامة و المحتاجة من أفراد المجتمع الزياني، لأجل تحسين مستواهم المعيشي والتقليل من وطأة الفقر عليهم خاصة في أوقات المحن والشدائد على اختلاف طبيعتها، عن طريق الأداء ألكرامي أو الدعاء أو حث الأغنياء على الصدقة للفقراء المحتاجين [76]، وسياسيا تجلى دورهم في التوسط لبعض السلاطين وأعوانهم خصوصا المكلفين منهم بجمع الضرائب [77]، فكانوا بمثابة واسطة لدى الحكام لحل الكثير من مشاكل الرعية، وبحكم مكانة هؤلاء الفئة ووضعيتهم المادية والاجتماعية الميسورة، يجعلنا نتساءل ماهي أهم الخدمات والمساعدات التي قدموها لأجل تحسين وضعية هؤلاء الفقراء خاصة زمن الشدة ؟

أ- المساعدات المادية للفقراء

نالت شريحة الفقراء والمحتاجين اهتمام كبير لدى الفقهاء والوجهاء الزيانيين، فسعوا إلى تحسين أوضاعهم سواء ماديا أو معنويا ولم يبخلوا عليهم بل بذلوا من اجل ذلك اعز ما يملكون ومثال ذلك:

العالم الفقيه أبو عبد الله بن أبي بكر مرزوق: ولد بتلمسان في أواخر سنة 710هـ/1310 م ونشأ بها وتعلم مبادئ العلوم وحفظ القران واخذ العلم عن علمائها أمثال ابني الإمام وإبراهيم الآبلي، أسس مسجد العباد، كان عظيما محببا لدى السلطان (أبي سالم المريني)، عرف هو وعائلته بحبه وعطفه على الفقراء حيث كان يهب المال لمن أراد التجارة، وكان يكتال من زرعه للضعفاء طوال السنة، ويمنحهم مقدار من المال وكان مجيب الدعاء لمن حل به فقرا أو مرضا فتتيسر حاله، مثلما دعا لـ (أبو الحسن علي بن ميمون) الذي كان ضعيفا فقيرا كثير العائلة فدعا له الشيخ فأصبح ذو مال كثير[78]، كما عرف والده (أبو العباس ابن مرزوق) (681هـ/741هـ) بكثرة الصدقات وأعمال البر له جرايات على الطلبة وأهل الدين والخير وما يعضد تلك الصفات ما جاء في كتاب المناقب "حيث كانت له مطامير من قمح وفحم وكان يعد اللحم المدخر المعروف بالمسلي والخليع والزيت، فإذا كان يوم الثلج، فتح مطمورة من قمح وأخرى من فحم، ويتصدق بالزرع والفحم والادام طول يومه، فلا يرجع إلى داره حتى يفرغ من المطمورتين كما كان له كل يوم خبز الصدقة ، وثياب في كل سنة " [79].

ووصف الولي الصالح العارف (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق) جد (ابن مرزوق) الحفيد (629هـ/1226م) الذي عاصر فترة السلطان (أبي يحي يغمراسن) والذي حرص على الاجتماع به في العديد من المرات، فكان ذا شهرة كبيرة وتميز بحبه وعطفه للفقراء والمساكين فكان يكتال بين يديه للضعفاء والمحتاجين" [80]، كما قيل انه كان يمسك صرة بها دراهم ويتصدق بها على المساكين الذين يتفرس فيهم الحاجة إلى شيء مما عنده [81] وهي كلها قرائن تبين لنا مدى حضور هذه الأسرة إلى جانب الفئة المهمشة في المجتمع.

الشريف أبو عبد الله التلمساني (710هـ/1310م-771هـ/1371م) كان بروز هذه الأسرة مع بداية القرن الثامن الهجري، فقدعرفت بشرف النسب وشرف العلم والأخلاق[82]، بلغ الشيخ العالم الفقيه (أبو عبد الله الشريف) الدرجة الرفيعة والمنزلة العالية ولعل شهادة شيوخه ابلغ دليل على ذلك إذ يقول فيه الشيخ (عبد السلام):" ما أظن أن في المغرب مثل هذا» [83]. كان هذا العالم لا يألوا في إعانة الناس مع كرم واسع معهم، وكانت نفقاته عليهم عديدة يعطيهم رفيع الكساء ، كما أجرى جرايات عليهم كثيرة من ماله [84]، كما وصف التنبكتي إحسانه لفئة الفقراء في قوله: "... كان مشفقا رحيما بالناس، يعينهم ... ويعطيهم عدة نفقات ... ويواسي رحمه بكثير من ماله ... ويطعم الأطعمة" [85].

وحذا حذوهم **الفقيه الشيخ احمد بن الحسن بن عبد الرحمان الغماري** نزيل تلمسان (ت 874هـ/1470م)، في مساعدته للفئات العامة الفقيرة على حسب ما ورد في قول ابن صعد الأنصاري" انه كانت تأتيه ثمرات من كل شيء، ويقصده الناس بالصدقات والنذور، وربما جاءه من الذهب المائة والمائتان فلا يدخر ذلك... وإنما يفرقه في الفقراء و المحاويج .."، وما عرف عنه انه كان يتولى بنفسه خدمة المرضى من الفقراء، ويسقي لهم الماء

ويحمل الطعام إلى منازلهم ويتفقد أحوالهم [87]، ولم يكن الفقراء الذين يأتون إليه طالبين المساعدة ليعودوا خائبين من عنده [88]، وقيل عنه انه كان يخرج إلى سوق ندرومة ويأخذ معه إبريقا مملوءا ويدور به على أهل السوق ويسقيهم منه جميعا [89].

و بالمثل كان الشيخ **الحسن أبركان** (ت857هـ/1453م) من قبيلة مزيلة من بني راشد ، لم يتحدث المترجمون له على تاريخ ولادته ولكنه كان في نهاية القرن الثامن الهجري كان ولي صالح حسن المعاملة، صاحب كرامات، وله مكاشفات، كثير الرحمة والشفقة على أفراد مجتمعه، مبالغا في إيثارهم ومبادرا لإغاثة ملهوفهم، رغم صعوبة الحياة المادية التي كان يعيشها، إلا انه كان سخيا وكثير التصدق للصدقات التي كانت تصله من بلاد السودان فلا يدخر منها شيئا[90] طمعا في لطف ربه وكسب ثوابه .

كما كان لفئة الأولياء الصالحين دور كبير تجاه الفئات الفقيرة بالمجتمع الزياني، وذلك ما نستشفه في قول (الوزان): " أن احد الأولياء الصالحين القاطن في إقليم البطحاء قد اشتهر بالغنى وكانت تصله الصدقات من كل البلدان فيجمع سنويا مبلغا من المال ، فيطعم به الفقراء والمساكين فقد جاء في مساق حديثه عن هذا الأمر"واخذ يتقاطر عليه جمهور غفير من الناس، فيطعمهم جميعا" [91]، ولا سبيل للإنكار أن بعض الفئات الميسورة الحال في المغرب الأوسط ساهمت في الحد من الفقر وتقديم خدمات جليلة لهذه الفئة الضعيفة، فقد أمدتنا كتب النوازل ببعض صور التكافل الاجتماعي"فقد أشار (الونشريسي) في احد النوازل أن رجل أوصى لصبية يتيمة بان يدفع لها بعد وفاته ربع حانوته، وينفق عليها إلى أن تتزوج" [92]. كما امدنا بصور حول الرعاية الاجتماعية التي كانت تقدم للفقراء والمساكين واليتامى في تلمسان، حيث أورد في احد المسائل" هل يرخص لمن وجبت عليه الزكاة قبل يوم عاشوراء في تأخير إخراجها إليه إذا كان موسما للمساكين يبرزون فيه ويلحون في الطلب ولا يعذرون من لا يعطيهم فيه قياسا على لزوم تأخير الزكاة عن حلول حولها "[93]، فأجاز الفقيه (المازوني) ذلك.

وكان الاحتفال بيوم عاشوراء فيه نصيب من الزكاة للفقراء والمساكين فقد أشار (المازوني) في إحدى النوازل بقوله: "بان فقير سافر لأجل الحاجة التي لحقته وعليه دين كثير ولم يخلف لزوجته شيئا، ولا يعرف احد هل هو حي أو ميت فلحق الزوجة من ذلك ضرر كثيرا، هل يعطى لها زكاة أم لا، فأجاب بجواز إعطائها إذا كانت على الحالة المذكورة"[94]، وهو تيسير من الفقيه بجواز إعطائها الزكاة لشدة فقرها، وفي نازلة أخرى ذكر أن رجلا من أهل بجاية من أكابر التجار وذوي الأموال الطائلة أوصى رجلا بأن يتصدق بمبلغ "مائة وخمسين دينارا من الذهب وأنها كانت أمانة بيده ثم علقها بذمته" على الفقراء والمساكين[95].

ب ـ دور الفقهاء والوجهاء الزيانيين في قضاء حوائج الفئات المحتاجة لدى الحكام

كان لتلك العلاقات السياسية بين نخبة الفقهاء والوجهاء الزيانيين والسلطة الحاكمة لتلمسان أثار طيبة وحسنة في الكثير من المرات، وهو الأمر الذي استغلته هذه الطبقة لآجل أن تكون وسيط بين السلطة الحاكمة وانشغالات أفراد المجتمع لاسيما تلك الفئات العامة المحرومة، فهذا **الولي أبو العباس أحمد بن الحسن**، الفقيه القاضي العدل من أكابر علماء تلمسان، "كان رحيما بالناس ساعيا في مصالحهم على حد القول" ثم ينصرف بكليته لذوي الحاجات فيصبرهم ويؤنسهم ويغيث ملهوفهم ويكاتب ملك الوقت وأرباب الدولة فيقضي الله على يده كثيرا من رد الظلمات وفك العناة"، وكان يتحمل المشاق من اجل خدمة الناس، ويبادر إليها بنفسه:"وكان ربما مشى بنفسه في دفع مظلمة أو رفع وظيف، فكان بعض أصحابه يقول له يا سيدي تتكلف المشي على قدميك فهلا بعثت بكتابك أو برسولك، فيتبسم رحمه الله ويقول لعل هذا انفع لنا ولهم" [96].

كما برز دور الفقيه أبي العباس بن مرزوق (ت741هـ/1340م) من خلال اللقاءات التي كانت تجمعه مع السلطان أبي تاشفين الأول بجامع العباد بتلمسان، بطلبه في شان بعض المساجين فأمر السلطان بإطلاق سراحهم [97] ، وقد شفع ابنه **الخطيب محمد بن مرزوق** (ت781هـ/1379م) لأحد أعيان تلمسان، وهو احمد بن قاسم بن الحاج ، الذي قام بسجنه السلطان أبو الحسن المريني، وبعد تدخل ابن مرزوق الخطيب أطلق السلطان سراحه وأمر له بكسوة "[98] وعلى غرار تقديم **الشيخ أبي الحسن أبركان** للفقراء الصدقات كان يقوم بمكاتبة الملوك وأرباب الدولة في قضاء حوائج الناس، ولم يسأم أو يفتر من ذلك [99].

وبالمثل فعل الفقيه الإمام **المفسر محمد بن يوسف السنوسي** (ت895هـ/1490م) الذي كان قاضيا مباركا صالحا آية في علمه وهديه وورعه، تميز باللين والرحمة على الضعفاء، كان مبتسما في وجه من لقيه، يوقر الكبير ويقف مع الصغير ويتواضع للضعفاء، كان يأمر أهله بالصدقة سيما وقت الجوع ويقول: "من أحب الجنة فليكثر من الصدقة خصوصا وقت الغلاء"، وكثيرا ما كان يتولى الصدقة بنفسه، وكان يتزاحم الأطفال في تقبيل أطرافه، وما اتصف به انه لم يكن يحبذ ربط علاقات مع السلاطين، إلا أن حبه للمساعدة وحل مشاكل الناس وقضاء حوائجهم جعلته يضطر إلى الذهاب ولقاء الملوك [100].

كما عظم دور الشيخ **الولي الصوفي احمد المغراوي المعروف بالهواري** (751هـ/843هـ) نزيل وهران الذي كانت له كرامات كثيرة اشتهرت بين العام والخاص، يقال انه كان آية في الكرم والرحمة للمساكين، وكان خدوما مؤديا لحاجة من يقصده على حسب ما ورد عند (ابن صعد): " كنت عند الشيخ يوما، وقد ورد إليه جماعة من الشرفاء الكائنين بمواطن مغراوة من بلاد الشلف ظلم واليهم وجوره على الأهالي وغيرهم من الرعية فاشتد غضبه الشيخ، ثم بعث للخليفة كتابا بذلك

الأمر -*فوضع حدا لذلك [101]، ومن الفقهاء أيضا، الذين كانوا شديدي الحرص على لقضاء حوائج الناس الفقيه ابراهيم بن علي الخياط الولي الصالح كان يتكسب من عمل الخياطة، "كان كثير الدخول على امير المؤمنين ابي يحي بن يغمراسن لقضاء حوائج الناس، وربما دخل عليه في اليوم سبعين مرة، فقيل لامير المؤمنين في ذلك فقال: دعوه فهو رحمة المسلمين، وما قضاه الله تعالى يقضيه، والله لا امنعه من قصده "[102].

جـ - مجابهة الفقهاء والوجهاء الزيانيين للضرائب والمكوس وجهودهم زمن الكوارث والمحن

لا شك أن الفقهاء والوجهاء ساهموا في التخفيف من المغارم أو إلغائها على بعض الفئات المتضررة منها، ساعين إلى وضع حد لبعض تجاوزات السلاطين كفرض مقادير معينة من المال على أعيان البلد حتى يتجاوز هذا الأخير ضائقته، فشكلت هذه الضرائب عبئا ثقيلا على معدومي و ضعفي الدخل، الأمر الذي اضطرهم إلى العيش في ضيق وضنك كبير على حد تعبير الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق بقوله «...فكم أدت المطالب بها إلى افتقار، وكم هتكت فيها من حرمة أموال وأعراض ..." [103] ، فقد اخذ هذا الرفض والتصدي للمكوس والضرائب من قبل هذه الفئة في المجتمع سلوكات عملية بغية الدفاع عن أفراد مجتمعهم ومثال ذلك ما قام به احد متصوفة تلمسان **الصوفي أبو الربيع سليمان** (779هـ/1377م) ويسمى أيضا الربيع سليمان بن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني كان فقيها ورعا معظما للعلم قيل عنه انه كان لا ياخذ قوته من الطعام إلا من موضع يعرف أهله" الذي حذر احد الوزراء بما قد يلحقه إن قام بعملية المكس متوعده بالعقوبة التي تعرض لها سابقوه من فارضي المكوس "، كما شارك الصوفي أبو عبد الله ابن شعيب مع العامة في ضرب المكاس محتجا بقوله: " ليس في الشريعة مكس"[105].

واظهر **الشيخ احمد الغماري** (ت874هـ/1470م) معارضته لهذه الضرائب والمكوس، من خلال فتح داره للمطالبين بالمغارم والمكوس، والفارين من أيدي السلطة [106] كإيوائه لرجل من قبيلة بني ورنيد، فر إليه بعد أن طولب بما عليه من الغرامة [107].

كما سعى **الفقيه أبو زيد بن الإمام** (ت743هـ/1342م) بالتوسط للفقيه أبي العباس بن عمران البجائي عند السلطان أبي تاشفين الأول بعد حلوله بتلمسان، فرفع السلطان مغرمه ومغرم من جاء معه وكان يقدر بمائتي دينار وزاد عن ذلك بان أعطاه مائتي دينار ذهبية [108].

أما فيما يخص جهودهم أثناء الكوارث والمحن كالمجاعات والأوبئة والحروب والحصارات وغيرها من الآفات التي جعلت إنسان المغرب الوسيطي يعيش تحت وطأة الفقر في كثير من المرات. فقد عثرنا بين متون بعض المصادر صورا واضحة لعملية التضامن والتكافل الاجتماعي لبعض الفقهاء والوجهاء الزيانيين فهذا الغبريني يذكر لنا مدى اثر كرامة الاستسقاء للولي ابو **الحسن علي احمد بن الحرالي** (ت637هـ/1239م) أندلسي الأصل ، مراكشي الدار، تخلى عن الدنيا ورحل إلى المشرق ثم نزل بجاية، قيل انه عندما أصاب الناس قحط وجفاف ببجاية عظيم وقلت المياه، وجف اميسيون، ووصل الزق من الماء إلى أربعة دراهم، فدعا الله بان يمطرهم فاستجاب الله وأمطرهم مطرا غزيرا واخذ يغسل ويشرب ويقول « مرحبا بقريب عهد من ربه [109].

كما ورد أن (أبا عمران ابن إسحاق) تصدق بكل ماله الذي ورثه والمقدر بـ (400) دينار على المساكين زمن المجاعة بالرغم من حاجة أولاده إلى هذا المال[110].

كما قاموا ا بمنع احتكار التجار للسلع وبيعها للأعراب زمن الشدائد، فقاموا بحثهم على إخراج الطعام وبيعه في الأسواق لحاجة الناس إليه وبسعر معقول، وشددوا النكير على متلقي السلع في الفنادق وألزموهم بإنزالها إلى الأسواق لتكون في صالح القوي والضعيف[111]. وسعى بعض الصلحاء إلى وقف أوقاف لمساعدة المحتاجين الفقراء والمتضررين زمن الشدائد فقد أورد الونشريسي" أن رجلا من أهل مليانة أوصى بأن يصرف ثلث أملاكه عند وفاته على المساكين"، وقد حدث ذلك سنة ثمانية وثلاثين وسبعمائة (738هـ/1338م) [112].

واتخذ الفقهاء والوجهاء من الزاوية ملجأ للفقراء والمحتاجين خاصة أيام الشدائد كتزويدهم ببعض الأطعمة، والألبسة، والصدقات التي تصل إليهم فعظم دورها من خلال عمليات التضامن والتكفل بالمحتاجين والمساكين[113]، وكان لهم دور أيضا في التوعية بخطبهم ومواعظهم المؤثرة في المساجد، كحثهم على الصبر أيام المجاعات التي اشتاحت تلمسان[114].

على العموم كان المستوى المعيشي لأفراد المجتمع الزياني يختلف من فئة إلى أخرى فهو يتماشى والطبقية في المجتمع، فالفئات الدنيا في المجتمع بالرغم من أنها أكثر إنتاجا إلا أن مستواها المعيشي دوما متقهقر.

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن هذه الدراسة عبارة عن رؤية تاريخية، ارتأينا من خلالها إبراز مسببات الفقر من كذا حروب ومجاعات وأمراض وأوبئة وقسوة في جباية الضرائب، والتي كان لها الأثر المباشر في تفشي الفقر داخل المجتمع الزياني، وبالتالي افتقار الفرد إلى ابسط ضروريات الحياة من مأكل ومشرب، كما سعينا إلى عرض دور وجهد بعض السلاطين تجاه الفئات الفقيرة والمحتاجة، وذلك بالنظر في أمورهم وانشغالاتهم والسعي لحلها والتخفيف منها، ثم دور الصلحاء والفقهاء ومحاولتهم في الرفع من المستوى المعيشي لهذه الفئات الضعيفة، بالتقرب منهم وتوعيتهم ومشاركتهم محنهم وأزماتهم واقتسام ما لديهم معهم، فكلا من السلطة والعلماء والصلحاء شكلوا ثنائية ونسقا متكاملا في السعي لمواجهة الفقر، وتحسين المستوى المعيشي لأفراد المجتمع الزياني، رغم الكثير من الاضطرابات السياسية والكوارث الطبيعية التي واجهتهم، وقد يكون من باب تحصيل الحاصل القول بان دور الفقهاء والصلحاء المتصوفة في تاريخ المغرب

كان يطفو أكثر في فترات الشدة كما هو الحال حين تعم المجاعات وتحفظ لنا النصوص التاريخية كما سبق الإشارة إليها عن مبادرتهم في تقديم المساعدة، وتبقى هذه المقالة مجرد محاولة أولى للنبش عن واقع الفقروأثره على الفئات المنسية بالمغرب الأوسط، و نرجو أن تعقبها محاولات أخرى من طرف الباحثين حتى تكتمل جوانب الموضوع.

الهوامش

1- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993،ص 210.

2- لسان الدين ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانه، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2002، ص158 .

3- إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية كتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (6/5هـ) (13/12م)، مجلة التاريخ العربي، العدد 22، ص02.

4- المازوني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني،ج4، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2009 ، ص95.

5- إبراهيم القادري بوتشيش، النوازل الفقهية والعقود العدلية ، ص03.

6- نفسه، ص03.

7- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة، قسنطينة، 2009، ص94.

8- حسين بولقطيب، جوائح وأوبئة معرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة ،2002،ص88.

9- عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983، ج6، ص569.

10- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: المطبعة الملكية ،1999، ط2، ص379، ابن خلدون العبر، ج7، ص194.

11- ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، تحقيق ابن هانئ سلامة ، ط1، بور سعيد، 2002، ص69.

12- يحي ابن خلدون بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج2، ص210.

13- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2012، ص288.

14- إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006، ص36.

15- العبدري، الرحلة المغربية ، تحقيق احمد بن جدوا، الجزائر ، نشر كلية الآداب الجزائرية، د ت، ص09.

16- ابن خلدون، العبر، ج7، ص454.

17- تعريف الذبحة: يقصد بالذبحة الصدرية آلام الصدر التي تحدث أثناء ممارسة جهد وفي بعض الأحيان أثناء الراحة، فهي ناتجة عن نقص في إمدادات الأوكسجين إلى عضلة القلب. موقع وكيبيديا الموسوعة الحرة.

18- تعريف السعال الديكي أو الشاهوق :مرض بكتيري حاد، يصيب الأطفال دون سن الخامسة، يعرف أيضاً باسم «أبو شاهوق»،أو القحيزان. وكيبيديا الموسوعة الحرة .

19- سمية مزدور، المرجع السابق، ص143.

20- الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1، ص83.

21- الوزان، ج2، ص52.

22- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، تونس، المكتبة العتيقة،1996، ص29.

23- نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجزائر، 2010، ص 19.

24- القادري بو تيشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، مرجع سابق، ص210.

25- سمية مزدور، ص 41 .

26- عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 366. .

27- نفسه، ص92.

28- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979، ص94.

29- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد الثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 487.

30- عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص94.

31- المازوني، المصدر السابق، ج4، ص7

32- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص38.

33- يحي ابن خلدون، ج2، ص 201.

34- بسام كامل عبد الرزاق شقدان ، تلمسان على العهد الزياني (7-9هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة ، ،جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، 2002،ص 173.

35- ابن خلدون، ج7، ص 96.

36- رشيد بورويبة واخروت ، مرجع سابق ،ص383.

37- عبد الرحمن ابن خلدون ، العبر، ج7، ص 99.

38- القيصرية : تعني سوق السلطان أو القيصر وهي اسم قديم من قيصر اكبر ملوك عصره باروبا ، وهي بما ثابت حي تجاري كبير يتكون من مجموعة من البنايات بها دكاكين ومحلات تجارية وورشات صناعية مغطاة، ومخازن في بعض الأحيان من كل فوق الحوانيت وفوقها رايات الدول التي تتعامل مع تلمسان تجاريا مثل قشتالة وميورقة وبروفانس، بيزا ، جنوة وبها فنادق يؤمه التجار الأجانب، ينظر: الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج1،ص 242.

39- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور (دورها في سياسة وحضارة الجزائر) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص 130.

40- عبد العزيز فيلا لي، تلمسان في العهد الزياني ، ج1،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000، ص135 .

41- رشيد بورويبة وآخرون ، مرجع سابق ، ص 384 .

42- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله حنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1979، ص 341

43- رشيد بورويبة وآخرون ، ص 487.

44- ابن الخطيب ،الإحاطة ،ج2، ص192.

45- رشيد بورويبة وآخرون،مرجع سابق، ص 383

46- حورية سكاكو، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (6-10هـ/12-16م) –دراسة حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة تلمسان ، غير منشورة ، 2014، ص104.

50- أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح محمود بوترعة ، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر ،2012، ص08.

47- مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحب وزيان الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر2013، ص77.

48- يحي ابن خلدون، ج2، ص 161.

49- سمية مزدور، مرجع سابق، ص 144-145.

50- أبو عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح محمود بوعياد، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 162.

51- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق ، ص 281.

52- إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع ايطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، غير منشورة 2007، ص41.

53- نفسه ص 41.

54- الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 21.

55- نفسه ،ج2 ، ص 16.

56- المطامير: ج/ مطمورة وهي التي كانت جزءا لا يتجزأ من مرافق الكثير من الأسر في المغرب الأوسط في مدنه وبواديه على حد سواء، كانت تستخدم لتخزين الفائض من الزرع تحسبا لسنوات المجاعات والحصارات، إدريس بن مصطفى، مرجع سابق ،117.

57- بسام كمال شقدان، مرجع سابق ، ص 174.

58- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب ،تح حمزة احمد عباس ، دار الكتب الوطنية، الإمارات ، 2003،ص 204.

59- لم نستطع الوقوف عليه ، لكنه ترجيحا احد قصور الحضرة الكريمة بتلمسان.

60- البيرمستنات: هو مكان مخصص للتكفل بمدواة المعتوهين والمجانين والغرباء من المرضى مزود بأدوية وأطباء، يسهرون على رعاية هؤلاء الفئة من المجتمع/ينظر: عابد بن تومي، الكوارث الطبيعية والجوائح والأوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين، (القرن13/15م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة، معسكر ،2010،ص143.

61- يحي ابن خلدون، ج2، ص576.

62- عابد بن تومي، مرجع سابق، ص143.

63- سعيد من حمادة " الخطاب الإسلامي في تلمسان خلال القرن 8هـ/14م من خلال واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني "في مجلة : عصور الجديدة ، ج2، وهران ، 2011، ص 306.

64- سمية مزدور ، مرجع سابق ، ص 202.

65- يحي ابن خلدون، ج2، ص576.

66- الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 18.

67- يذكر أن أبا الحسن المريني وزع على فقراء تلمسان اثني عشر ألف دينار، واثني عشر ألف كساء، ومن الطعام مطامير لا تعدو ولا تحصى فضلا عن مكافأته للأعيان و الصلحاء، ينظر ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ص42.

68- نفسه، ص42.

69- ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في الدولة المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، 1920، ص91.

70- نفسه، ص91.

71- عبد العزيز فيلا لي ،ج1، ص226.

72- ابن مريم المليتي المديوني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011،ط1، ص 90-89.

73- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ط1، تحقيق سلوى الزهاوي، مطبعة النجاح الجديدة، 2008، ص 192،193.

74- يحي ابن خلدون، مصدر سابق ، ينظر/ سمية مزدور، ص156.

75- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاجتماعية والدينية والعلمية بالغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب ،1996، الإسكندرية ،ص 73.

76- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971، ص161.

77- سمية مزدور، مرجع سابق ، ص 151.

78- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ص 165.

79- نفسه ، صص190-191 .

80- نفسه، ص160.

81- نفسه، ص155.

82- نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان ، من القرن (7-10هـ)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، غير منشورة ،ص 21.

83- احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج في تراجم المالكية، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ط1، 2004، ص 340.

84- ابن مريم، مصدر سابق ، ص 169.

85- التبكتي، مصدر سابق، ص339-340.

86- ابن صعد الأنصاري التلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح يحي بوعزيز، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص194.

87- نفسه، ص194.

88- نفسه، ص 197.

89- نفسه، ص 219.

90- ابن مريم، مصدر سابق، ص 88.

91- الوزان، مصدر سابق، ج1، ص29.

92- أبي العباس الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب ،أخرجه جماعة من الفقهاء وإشراف محمد حجي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج10، ص294.

93- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين (7/9هـ)/ (13/15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ، 2003، ص256.

94- المازوني،ج1، 341 .

95- الونشريسي، المعيار،ج6، صص6-5.

96- ابن مريم ، مصدر سابق، ص 89/ عبيد بوداود، مرجع سابق، ص252.

97- نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 142.

98- ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 322-323.

99- ابن صعد، مصدر سابق، ص 129.

100- نبيل شريخي ، مرجع سابق ،ص 144.

101- ابن صعد، المصدر السابق، 233.

102- ابن مريم، مصدر سابق ، ص 126.

103- ابن مرزوق، المسند، ص 286.

104- نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 145.

105- الغبريني، مصدر سابق، ص 173.

106- ابن صعد، المصدرالسابق، ص 220.

107- نبيل شريخي، مرجع سابق، ص 145.

108- التنسي، مصدر سابق، ص 142.

109- الغبريني، مصدر سابق، ص 151 .

110- سمية مزدور، مرجع سابق، ص 153.

111- نفسه، ص147.

112- الونشريسي، المعيار، ج6، 457.

113- سمية مزدور، ص162.

114- المازوني، ج1، ص337.

المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ط2، الرباط، المطبعة الملكية، 1999، بيروت .

- ـــــــــــــــــ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، تح محمد بن أبي شنب ، الجزائر ، 1920.

- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، تاريخ الدولة الزيانية، تح هاني سلامة ، ط1، بور سعيد، 2002 .

- التنبكتي احمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، 2004.

- التنسي أبو عبد الله ، تاريخ ملوك بني زيان ، تح محمود بوعياد، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

- الحسن بم محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

- ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله حنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1979.

- ـــــــــــــــــ، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2002.

- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

- ـــــــــــــــــ، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2012.

- ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح بوزيان الدراجي، ج2، دار الامل للدراسات والنشر والتوزيع السنة، الجزائر ، 2007.

- ابن مريم المليتي المديوني، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

- الزركشي محمد ابن إبراهيم اللؤلؤي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماضور، المكتبة العتيقة ، تونس، ط2، 1996.

- ابن صعد الأنصاري لتلمساني، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتحقيق - يحي بوعزيز، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط1، 2002.

- الغبريني، أبو العباس احمد بن احمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1971.

- المازوني أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي- الدرر المكنونة في نوازل مازونة – تح مختار حساني ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2009م.

- مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح بوزيان الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني والنشر والتوزيع، الجزائر ، 2013.

- ابن مرزوق التلمساني أبو عبد الله محمد، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1980م.

- ـــــــــــــــــ، المناقب المرزوقية، تح سلوى الزهاوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، ط1، 2008.

- الزياني أبو حمو موسى، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2012.

- الونشريسي احمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، تح جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – 1981م.

- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب- تح حمزة احمد عباس، دار الكتب الوطنية، الإمارات، 2003.

- العبدري، الرحلة المغربية، تح احمد بن جدوا، الجزائر، نشر كلية الآداب الجزائرية، دت .

المراجع

- الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1984.

- السيد أبو مصطفى كمال، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية بالغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996.

- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين (9/7هـ)/ (15/13م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2003.

- بوتشيش إبراهيم القادري، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1993.

- ـــــــــــــــــ، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006.

- بولقطيب حسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.

- بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000.

الرسائل الجامعية

- بن مصطفى إدريس، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع ايطاليا وشبه الجزيرة الأيبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2007.

- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان على العهد الزياني (7-9هـ) رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002.

- بن تومي عابد، الكوارث الطبيعية والجوائح والاوبئة في المغرب الأوسط وأثرها في المجتمع مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين ن رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، معسكر، 2010.

- بن داود نصر الدين، بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن (7-10هـ) أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة تلمسان، 2010.

- مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط من القرن 6-10هـ، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسنطينة، 2009.

- شريخي نبيل، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين (7-8هـ)، رسالة ما جستير في التاريخ الإسلامي، الجزائر، 2010.

- سكاكو حورية، التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحدي والزياني من القرنين (6-10هـ)- دراسة حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، 2014.

المقالات

- حمادة بن سعيد، «الخطاب الإسلامي في تلمسان خلال القرن 8هـ/14م من خلال واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني، مجلة عصور، العدد 02، وهران، 2011.

- بوتشيش إبراهيم القادري، النوازل الفقهية كتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (6/5هـ) (13/12م)، مجلة التاريخ العربي، العدد 22، دت.

- موقع ويكبيديا الحرة.